التأثيرات الهلالية على المجتمعين المصري والتونسي

أحمد سعد إبراهيم إسماعيل عيطة (*)

الملخص

عرض هذا البحث: للتأثيرات الهلالية على المجُتمعين المصري والتونسي راصدًا من منطقتي الجنوب في كُلِ مجُتمع نموذجًا للمقارنة، وتبين أنَّ هُناك الكثير من التأثيرات منها: القيم، ومن هذه القيم ما هو مرغوب فيه مثل: الكرم، والدفاع عن العرض والشرف، والرفق بالنساء، واحترام الكبير والعطف على الصغير. ومنها ما هو غير مرغوب فيه مثل: الافتخار بالأحساب والأنساب، والنفاق، والثأر.

أيضًا الحكمة: فالسيرة الهلالية موجودة في اللَّاوعي أي مخزنة حول كل ماهو جميل وجليل من الصفات والأخلاق والأفعال. واللُغة من أكثر التأثيرات في الجنوب المصري والتونسي وتبدو أنها الأقرب إلى اللُغة العربية. والإيجاز: فلا للثرثرة، فكلمات موجزة في محلها؛ ولذلك كان أكثر كلماتهم حكم.

ومن التأثيرات الهلالية على المأكل: خُبزة المِلّة والرفيسة. والقنص. ومن التأثيرات على الملبس الحولي وهو الأقرب إلى السيرة الهلالية. فلماذا يناسب السيرة الهلالية هذا اللباس؟. لأنه يتميز بخصلتين إذا شئته ساترًا في أوان الراحه والدعاء فهو ساتر ومسدل على الجسد، وإذا أردته مُشمَّرًا حاسرًا فبإمكانك أن تحسره بسهوله.

أيضًا الوشم: من السمات المشُتركة بين الجنوب المصري، والتونسي فالوشوم موجودة حتى الآن عند كبار السن، والوشم يرمز للجمال. وفيه الأثر الجمالي الذي يُكسب المرأة الجميلة جمالًا زائدًا.

ومن العادات والتقاليد التي توارثت عن الهلاليين، حُب الصحراء، وتربية الإبل، والخيمة الصحراوية، روكوب الخيل، والأزياء التقليدية، والألعاب مثل لعبة السيجة في مصر "، (وتتشابه مع لعبة الخربقة في تونس) وحُب الشعر.

فالهلالية ليست مُجرد حلقات تُحكى لمُجرد التسلية، وإنما هي تعويض نفسي يجسِّد من خلاله الرواة القيم الاجتماعية الغائبة. فتمسك الجمهور بالسيرة؛ لأنها عبَّرت عن انتماءاتهم القبلية. والتي فسرت سبب بقاء الهلالية في الصعيد حتى الآن.

الكلمات المفتاحية:

السيرة الهلالية – التأثيرات – الأنثروبولوجيا – مصر – تونس.

(*) باحث دكتوراه الأنثروبولوجيا – كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة.

Abstract

View this search: The Crescent’s effects on the Egyptian and Tunisian societies, observing the two regions of the south in each society as a model for comparison, and it was found that there are many Effects **Of which:** Value, And from this is Value What he is desired in it **Such as:** The vineyard, and defense About Display and honor, and companionship with women, and respect Great and kindness On Little. Such as What he is Non desired in it **Such as:** pride by arithmetic genealogy, and hypocrisy, revenge.

Also wisdom: qAl-Hilal’s biography is present in AllahَّAwareness of any store about all that is beautiful and noble qualities, morals and actions. And the**All**ُ**language** One of the most influential at The Egyptian and Tunisian south It seems to be the closest to GodُArabic language. **And thebrevity**: qnot to gossip, qShort words are appropriate; Therefore, most of their words were the rule.

Among the effects of crescent moon on food: Khُ**slang uniform** And Al-Rafeesa. **And thesniping**. It influences the clothing yearly, which is the closest to the crescent biography. So why does Al-Hilal’s biography fit this dress? Becausee It is distinguished by two characteristics, if you wish it, it covers it in times of rest and supplication, then it covers and covers the body.ُSniffَّIt is a heartbreaking thing that you can easily lose.

Also tattoo: One of the most common featuresُben's legacy the South Egyptian, And theTunisian tattoos are still present in the elderly, and tattoos symbolize beauty. It has an aesthetic effectُBeautiful women gain more beauty.

Among the customs and traditions that were inherited from the Hilalites, hُB the desert, and breeding The Camels, And theThe tent desert, RAnd theHorse cup, traditional costumes, and games like fence game in Egypt ', (and is similar to the game **Khirbet**in Tunisia) and hُb hair.

The crescent not mُInventory of episodes told whyُInventory of amusement, but rather a psychological compensation palpableِّD through which narrators absent social values. qpublic adherence to biography; Because it expressed their tribal affiliations.And theWhich explained the reason why Al-Hilaliyah remained in Upper Egypt Until right Now.

key words:

AlSiyra Al-Hilalia - influenceAT - Anthropology - Egypt - Tunisia.

مقدمة:

سيرة بني هلال من الموضوعات الفولكلورية المُهمَّة، فهي السيرة الشعبية الوحيدة المُتبقية، ومازالت أشعارها تروى من قبل الشعراء والرواة حتى اليوم، من خلال المُصاحبة الفنية لهذا العمل الفني الإبداعي. وهي لا تزال تتصدر قائمة الأنواع الغنائية الفولكلورية ويرددها المُحترفون من الشعراء والرواة.

وتُعد "السيرة الهلالية" الملحمة الشعبية الأكثر ثراءًا وتشويقًا في وجدان المُستمع لما تحتويه من بطولات متنوعة ومُغامرات. وقد جعل تنوّع الأحداث وانتقال الصراع بين أبطالها تتربع على عرش السير الشعبية الأكثر انتشارًا. فأبو زيد الهلالي هو صاحب النصيب الأكبر من السيرة الهلالية لما بها من رصد لحياته بداية من مولده وصراعه مع أهله والإنتقال إلى تونس وقتله ثم أخيرًا أخذ ابنه زايد بالثأر من قاتله. فهذه القصة بمغامراتها خلَّفت لنا مادة خصبة للتفنن في رصد هذه القصة وأبطالها والصراع الداخلي والخارجي سواء كان بينهم، أو مغامراتهم الخارجية، بالعديد من القيم الرمزية، والجمالية، وخلَّقت مادة ثرية.

ويسعى هذا البحث إلى رصد القيم الرمزية، والتأثيرات الهلالية على كُلٍ من المجُتمعين المصري والتونسي راصدًا من الجنوب الأعلى المصري، والجنوب الغربي التونسي نموذجًا للمُقارنة، حيث اعتمد الباحث على عدد من الأدوات منها: المنهج الأنثروبولوجي، ونظرية الصيغ الشفاهية، ونظرية الاتصال، والانتشار الثقافي، وذلك لرصد الرموز في كل مُجتمع، كذلك رصد السمات المشتركة بين المجتمعين، مثل القيم الإيجابية والسلبية. كذلك الألعاب، والأكلات، والزي، والشعر ، وشكل المسكن.

أولًا: أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في عدم التطرق إليه كثير من الدراسات الأنثروبولوجية، حيث تلقي الضوء على التأثيرات الهلالية من منظور أنثروبولوجي مُقارن. وتتركز الأهمية النظرية لهذه الدراسة في إدراج البُعد الاجتماعي والثقافي للقيم والتأثيرات الهلالية على الموروث الثقافي في كل من مصر وتونس، حيث تقدم الدراسة بُعدًا جديدًا في النظر إلى السيرة الهلالية باعتبارها آلية لإحياء وإعادة إنتاج التراث. والتعرف على أهم الدلالات الثقافية والاجتماعية بما تحمله من رموز لأبطال السيرة الهلالية، وما تحتويه من أشكال رمزية لها دلالتها الأنثروبولوجية، في كُل من مُجتمعي الدراسة من خلال الدراسة الميدانية.

ثانيًا: تساؤلات البحث:

إلى أي مدى أثر الهلاليين على قيم المجتمعين المصري والتونسي؟. ويتفرع من هذا التساؤل عدد من التساؤلات الفرعية:

١. ما هي الأسباب التي أدت إلى تنوع أداء روايات السيرة الهلالية؟.
٢. ما هي القيم الاجتماعية، والرمزية والجمالية في السيرة الهلالية وأبطالها؟.
٣. ما هي التأثيرات الهلالية على الموروث الثقافي، في كُل من مُجتمعي الدراسة؟.
٤. كيف يرمز أبطال السيرة الهلالية للناس في مصر وتونس، وهل تختلف هذه الرموز من مُجتمع لآخر؟.

ثالثًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرُّف على التأثيرات الهلالية على الجنوب المصري والتونسي.

١- التعرف على التأثيرات الهلالية على الموروث الثقافي في المُجتمعين.
٢- إبراز القيم الرمزية والجمالية والاجتماعية.

رابعًا: المداخل النظرية والمنهجية:

١)- : نظرية الصيغ الشفاهية *Oral formulas theory*:

تولي هذه النظرية اهتمامها بدراسة كافة أشكال التعبير الشفاهي، وروادها ثلاثة من أبرز أساتذتها هم: **ميلمان باري *M.Parry* وألبرت لورد *A. Lord* وديفيد بينوم *D. Bynum***، حيث صاغوا الخطوط الأساسية للنظرية، من خلال النتائج التي حصلوا عليها من رحلاتهم الميدانية العديدة بين عقدي الثلاثينات والخمسينات، في مناطق الصرب والبلقان، جمعوا خلالها نصوصًا من الملاحم والحكايات الشعبية من أفواه الرواة **اليوغوسلاف**، أو **الجوسلار *Guslari***. وتعد الصيغة مجموعة كلمات تستخدم في التعبير الشفاهي استخدامًا منتظمًا، بطريقة موزونة، أنشئت بصورة قابلة للتكرار الشفاهي، لتعبر عن فكرة، وتؤدي وظيفة في بنية الشكل الأدبي(**محمد حافظ دياب، ١٩٩٦، ص١١١**)، وهي بهذه الكيفية تعين الراوي على تذكر وتقديم روايته. وقد لا تكون الصيغة مجرد عبارة، وإنما تشتمل على موضوع أساسي، كالحلم الذي يراه البطل في منامه ويكشف له عن سر خطير، إلى غير ذلك من الموضوعات التي يحفظها الرواة ويتناقلونها ويعيدون انتاجها(**إبراهيم عبدالحافظ، ١٩٨٥، ص٢٧٥- ٢٧٨**).

٢)- : نظرية الاتصال الثقافي: *" Cultural Communication "*.

يُعرف الاتصال الثقافي بأنه "موقف تتبادل فيه ثقافتان "، وقد يكون هذا الاتصال محدودًا حيث تنتشر العناصر الثقافية ويتركز الاهتمام على تبادل الأفكار والعادات والتقاليد والأشياء المادية بين ثقافتين مختلفتين.كما يمكن أن يكون الاتصال الثقافي شاملًا بحيث تتداخل ثقافتان معًا، ويتضمن مفهوم الاتصال الثقافي عمليات التغير التي تتم داخل الثقافة، ولذلك يعتبر علماء الأنثروبولوجيا المُعاصرين أن الاتصال الثقافي هو العملية الأساسية والوسيلة الفعَّالة للتغير نظرًا لأنه لا يُمكن لمُجتمع أن يستعير من غيره من المُجتمعات أية عناصر ثقافية، إذ اكان يعيش في عُزلة ولم تُهيأ له فُرصة الاتصال الثقافي**(نبيل حنا،١٩٧٣، ص١٦٣)**. ويؤدي الاحتكاك الثقافي بين ثقافتين إلى حدوث تبادل ثقافي، بحيث تنقل ثقافة بعض السمات الثقافية إلى الكيان الثقافي الآخر. ومن هنا يمكن استخدام نظرية الاتصال الثقافي في معرفة كيفية انتقال العديد من السمات الثقافية بين المُجتمعين المصري والتونسي. أيضًا اشتراك العديد من السمات الثقافية بين المُجتمعين.

٣)- : نظرية الانتشار الثقافي: *Cultural Diffusion*:

إن الانتشار ***Diffusion*** يعني انتقال أدوات أو أفكار مُعينة من مُجتمع إلى آخر، إمَّا عن طريق التجارة أو الاتصال المُنظم أو العرضي**(كلايد كلاكهون، ١٩٤٩، ص١٤٤)**. فالعناصر الثقافية تنتقل من موطن إلى آخر بتأثير بعضها في بعض، كما أنَّ الحضارات تتواصل وتتفاعل وتتبدل، وهذه الخاصية أساسية في خواصها، مُستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي**(محمد خلف جواد، ١٩٩٣، ص٧١)**. وإنَّ لعامل الحاجة دورًا مُهمًا في تقارب الثقافات، حين يدعو إلى خلق تفاعل بين الحُريَّات الثقافية، وبين الثقافة المحلية والإقليمية، وتمهد الطريق لخلق الانفتاح من دون التأثر الأحادي من الثقافة المحلية فقط، بحيث يفقدها هويتها والاستفادة من الثقافات الأُخرى التي يُمكن أن تُعزز مسيرة الثقافة المحلية**(مفيد الزيدي، ٢٠٠٣، ص٥١-٥٢)**. لأنَّ ثقافة أي بلد تضم دوائر مُتداخلة مع بعضها البعض. **فالدائرة الأولى** هي دائرة (الثقافات المحلية) التي لا تخلو من التنوع ، **والدائرة الثانية** هي دائرة (ثقافة الأمة) أو الدولة المعنية بكاملها. ومن هنا تم استخدام نظرية الانتشار الثقافي في كيفية اشتراك العديد من التأثيرات كالوشم، واللغة، والرموز، والقيم، وانتشار العديد من السمات الثقافية بين الجنوب المصري والجنوب التونسي.

خامساً: منهج الدراسة وأدواته: اعتمد البحث على:

١)- المنهج الأنثروبولوچي:

هو منهج تطبيقي تعتمده الدراسات الأنثروبولوچية الميدانية. وكانت الاستعانة بهذا المنهج دافعًا نحو تعرف مهمة الباحث في الميدان، وذلك يؤدي إلى الحصول على أكبر قدر من المعلومات(**محمد علي محمد، علياء شكري،١٩٩٢،ص٢٢٦**). والجدير بالذكر أن للوسائل التي أشار إليها المنهج الأنثروبولوچى، دور واضح فى الكشف عن الجوانب المختلفة للدراسة، ومن تلك الوسائل:

أ)- المقابلة:

تعد المقابلة من أهم الوسائل التى أسهمت في التعرف على الأبعاد المختلفة من خلال مجموعة من الإخباريين، حيث يشكل الإخباريون مصدرًا هامًا ورئيسًا للحصول على المعلومات، وتفسير العديد من العناصر التى يصعب إدراكها بمُجرد المُلاحظة أو المُلاحظة بالمشاركة(**عيسى الشماس، ٢٠٠٤، ص٢٢**).

ج)- دليل العمل الميدانى:

لدليل العمل أهمية كبيرة فى جمع مادة البحث ميدانيًا، حيث استعان الباحث في المقابلات الميدانية على دليل العمل، والذي تم إعداده لذلك.

د)- الأنثروبولوجيا المرئية:

تقوم الأنثروبولوجيا المرئية على أساس مؤداه أن الثقافة تظهر خلال الرموز المرئية والاحتفالات والطقوس والشعائر. ولعل أهم سمة للثقافة أنها مرئية، وبدلًا من أن نكتفي بالتعبير عنها بالحروف والكلمات، أي الوصف الإثنوجرافي المكتوب، فإننا نترك الصورة هي التي تعبِّر عنها، حيث يقوم الباحث المُتخصص في الأنثروبولوجيا المرئية بالتقاط صور من مُي فترة زمنية ما. والباحث في الأنثروبولوجيا المرئية لا يلتقط مجرد صور، وإنما يلتقط أحداثًا اجتماعية ورموزًا ثقافية(**علاء جواد كاظم ، ٢٠١٣**).

٢)- المنهج المقارن:

يرتبط المنهج المُقارن بالمنهج التاريخي بدرجة كبيرة وتعتمد هذه الطريقة في الدراسة على المُقارنة بين المُجتمعات المُختلفة أو الجماعات المُختلفة التي تعيش في مُجتمع واحد، لتوضيح أسباب الشبه والاختلاف بين هذه المُجتمعات والجماعات. وأول من استعمل هذه الطريقة هُم عُلماء اللُغة في القرن التاسع عشر، عندما قاموا بدراسة عدد من اللُغات بهدف المُقارنة بينهم

والتوصُّل إلى الصفات المُشتركة التي تربطها، والتي تشير إلى أُصولها، وقد استعملها العالم العربي "**بن خلدون**" حيث أشار إلى ضرورة مُقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر الأُخرى لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينهما(**احسان محمد الحسن، ٢٠٠٥، ص٧٠**). ويعتبر المنهج المُقارن هو أحد المناهج التي تكشف عن الأبعاد الكُلِّية للظاهرة، والكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين الظواهر، بما يسمح بتحديد التغير وعوامله التي أثرت على الظاهرة وملامحها(**محمد زكي أبو النصر، ٢٠٠٨، ص١٧٧**). والجدير بالذكر أن تمت فائدة كبيرة من الدراسة المقارنة التي قام بها الباحث بين مُجتمعي الدراسة في منطقة الصعيد الأعلى بمصر ومنطقة الجنوب الغربي نموذجًا بتونس، في التأثيرات الهلالية على المجتمعين من القيم الجمالية والرمزية، وغيرها من التأثيرات.

سادساً: الدراسات السابقة:

١)- دراسة: علي محمد برهانة، ١٩٩٩، بعنوان " سيرة بني هلال : ظاهرة أدبية: دراسة أدبية لغوية مُقارنة".

تكمن أهميتها في جمعها لست روايات شفاهية من الرواة الليبيين، وأراد لها الباحث أن تتصل بالمدونات التاريخية التي تحدثت عن بني هلال وأشعارهم وهجرتهم إلى الشمال الأفريقي، ومرجعه الرئيس في ذلك ما ذكره ابن خلدون في مقدمته. وبجانب المدخل التاريخي، **ومن النتائج** التي توصلت إليه الدراسة: أن سيرة بني هلال فن جماعي ماثلت فيه هذه الظواهر الثلاث: الأمية، البيئة، ورواية الشعر العربي الفصيح في الجاهلية، فسيرة بني هلال كانت نتاج للشعراء والرَّواة الشعبيين من البدو، وأنها مثلت حياتهم خير تمثيل. لقد مثل فنًا شعبيًا جماعيًا حكمته ظروف متشابهة فأعطى نتائج متشابهة. وهي واحدة من الدراسات الجادة في مجال تدوين السيرة الهلالية.

٢)- دراسة: إبراهيم عبدالحافظ ، ٢٠٠٢ ، بعنوان " قصص السيرة الهلالية بين الرواية التقليدية والمستحدثة في دلتا مصر".

يحاول هذا البحث اختبار قضية الفروق بين الرواية التقليدية لقصص السيرة الهلالية، ويقصد بها رواية الشعراء الأميين أو "شعراء الرباب"، والرواية المستحدثة ويقصد بها رواية الشعراء المتعلمين أو "شعراء الفرق الموسيقية" ويشير إلى أن السيرة الهلالية تكسرت إلى قصص متفرقة في الرواية الحية، وأن تقاليد غناء السيرة الهلالية تنقسم إلى روايتين، رواية الشمال (الدلتا) ورواية الجنوب (الصعيد)، وأن القصيد غلب على الرواية التقليدية في الدلتا، بينما

غلب المربع على رواية الصعيد، وهل استمر الحال في الرواية المستحدثة لدى الشعراء. حيث يعقد الباحث عدد من المقارنات بين عدد من الشعراء للرواية التقليدية والرواية المستحدثة للسيرة الهلالية من حيث الشاعر، والنص والسياق الثقافي، باستخدام الصيغ الشفاهية، ومن أهم النتائج التي توصل إليها أن رواة السيرة الهلالية في الدلتا وبخاصة شعراء الرواية الحديثة لم يزد محفوظ بعضهم عن بضع قصص من السيرة.

تعقيب على الدراسات السابقة:

- ا

ستفاد الباحث من الدراسات السابقة، في كل مراحل الدراسة ابتداء من تكوين الفكرة وحتى الوصول إلى النتائج النهائية للدراسة.

- ا

لاستفادة من النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة وعقد المقارنة بين هذه النتائج وبين النتائج التي ستتوصل إليها الدراسة الحالية.

تمهيد:

هناك الكثير من التأثيرات على المجتمعين المصري والتونسي وخاصة في الجنوب، منها الإيجابي ومنها السلبي. وفيما يلي سوف نستعرض بعض من هذه التأثيرات. ومن خلال مقابلة مع الباحث "**الشريف بن محمد**[(١)]: والذي يرى أن السيرة الهلالية أينما مرت من رحلتها في الحجاز إلى بر تونس حتى الجزائر خلَّفت أثرًا، وهذا الأثر فيه ما هو سلبي كالإغارة والسلب والنهب والتدمير وكل الجوانب السلبية المعروفة في الحروب، وما هو إيجابي، ويعني الأثر الثقافي.

(صورة رقم ١)

"ألتقطت بواسطة الباحث. تجمع الباحث مع الباحث التونسي الشريف بن محمد أصيل مدينة دوز.

أثناء عمل مقابلة شخصية عن السيرة الهلالية وأدائها، بصفته أحد المتخصصين والمهتمين بها"

والجانب الإيجابي هو التأثير على الموروث الثقافي، حيث تغيَّرت السمة الثقافية، ولابد أن يوجد أثر، حتى الآن. والسمات الثقافية في مستوى الرحلة والنجعة، والانتقال من مكان لمكان. وما يمكن أن يسمى بالقُدرة الحربية، المُناجزة والانتصار، والرغبة في تخليد الأثر، كُلها صارت مستلهمة من سيرة بني هلال والحروب. والملمح الثقافي هو المهيمن على التراث اللامادي وخاصة جانبه الغنائي، ففي الأعراس قديمًا كان الشعر يروى مشافهةً ولكن جزء من هذا الشعر يغنى، والغناء غير الشعر، فأن تكتسب هذه الأشعار قيمتها الغنائية هذا يكسبها جانب آخر من الشهرة والذيوع والانتشار والترديد؛ ومعناها أن الأشعارُ تتداولُ في حلقة رجالية

(١) **الباحث: الشريف بن محمد**، رحمه الله هو باحث في الأدب الشعبي، من دوز مهتم بالتراث حاصل على درجة الماجستير حول الموروث الشفوي في عنصر المطر، والذي ترأس المهرجان الدولي للصحراء بدوز لمدة ثلاث دورات متتالية، وعمل في لجان التحكيم في الشعر الشفوي، ومهتم بالجانب التراثي.

ضيقة. أمَّا الغناء والموسيقى في حفلة العرس تجد فيها الرجال والنساء والكبار والصغار، والأطفال واليافعين، ومراحل عمرية مختلفة.

ومن أكثر التأثيرات الهلالية على المجتمع الجنوبي هي القيم، ومعناها آثار ليست مادية وإنما ما يسري لا مادي. **مثال:** عندما تنجب المرأة بنتًا فتصبح المخايرة في منزلة هذه البنت إذا وجدت البنت فالأفضل أن تكون في مقام الجازية ياريت أن تكون في المرتبة العليا من الجَمال، وطول الشعر، من فتنة الرجال من الحكمة والتدبير إلى آخره. هذا المثال يؤكد لك أن السيرة الهلالية موجودة في اللاَّ وعي أي مخزنة حول كل ماهو جميل وجليل من الصفات والأخلاق والأفعال.

ومن التأثير على الملبس والمأكل واللغة فمازال في دوز تشبث كبير باللغة العربية وهذا للسيرة الهلالية دور فيه فبنو سليم والحجاز والتنقل إلى بر تونس فنجد أن المستوى اللهجي يبدو الأقرب إلى اللغة العربية. **أيضًا اللغة والإيجاز** وهو ملمح مهم جدًا، فذياب أو الزناتي أو غيرهم كانت عندهم صفة مميزة جدًا في كلامهم أنه لا للثرثرة، كلمات موجزة في محلها وعندها هدف وتبلغه، ولذلك كان أكثر كلماتهم حكم. وهذا موجود عند العقلاء وعند كبار السن، وعند الذين تشربوا قيم البادية، فإمَّا أن يقول خيرًا أو ليصمت. فمازال يسري وأُولاحظه بشكل دائم في الجنوب.

ومن التأثيرات على الملبس: اللباس الذي يوحي بسيرة بني هلال وهو الشكل **الحولي** وهو الأقرب إلى السيرة الهلالية. **فلماذا يناسب السيرة الهلالية هذا اللباس؟**. لأنه يتميز بخصلتين إذا شئته ساترًا في أوان الراحه والدعاء والإقامة فهو ساتر ومسدل على الجسد، وإذا أردته مشمرًا حاسرًا فبإمكانك أن تحسره بسهوله، وهذا اللباس كان يصنع من أصواف الغنم، ومن أوبار الإبل. أيضًا يوجد جانب آخر وهو ليس من مجلوبات السيرة الهلالية، ولكن لعَّها استثمرته وهو **الوشم**، فالوشوم موجودة قبل مجيء بني هلال، الأمازيغ هم أصل الوشم ولم يتحدث عنه المرزوقي في الحديث عن "**الجازية**" قال أنها كانت جميلة بخلقة الله ولكنها ازدادت جمالًا بما صنعت من وشوم وهي موجودة حتى الآن هنا في "**دوز**" وحتى في الصعيد المصري، والنساء في دوز. فدوز عربية وليست أمازيغية والوشم أمازيغي. **إذن:** ما الذي جعل نساء دوز يستخدمن الوشم، فالوشم الآن لم يعد موجودًا ولكن جيل الخمسين سنة وأكثر وهو جيل العجائز اليوم موجود فيه الوشم بكثرة ولا شك أنه من مجلوبات السيرة الهلالية، وفيه الأثر الجمالي الذي يكسب المرأة الجميلة جمالًا زائدًا، والمرأة غير الجميلة لعله يحسن من خلقتها.

ومن التأثيرات الهلالية على المأكل أيضًا": توجد آثار وهي الآثار التي ترتبط بالحياة الصحراوية أي كل ما يمكن أن تنتجه الحياة الصحراوية. مثل: **خبزة المِلّة**(١) ومكوناتها... و**الرفيسة** ومكوناتها قليل من الخبز وقليل من التمر وقليل من السمن وتخلط فتمثل وجبة مغذية ومكتملة وكافية لليوم وفي السيرة باعتبارهم رُحَّل يحتاجون هذا الغذاء، ولأنه سهل الإعداد، ولأن المسافر لا يريد أن يتعطل كثيرًا لساعة أو ساعتين في الطهي، ففيه عدم لفت الانتباه بإشعال النيران والدخان، وهذا موجود إلى الآن في الصحراء.

أيضًا من التأثيرات: القنص كيف كان الهلاليون يستغلّون قدراتهم في صيد الأرنبة والغزال وهذا مازال موجودًا حتى الآن، أي أنهم عاشوا على القنص. **ومثالًا** على القنص فلم تكون هناك أسلحة كالبارود المعاصر وغيرها من الأسلحة، ولكنهم كانوا يستخدمون كلاب الصيد المُسمَّاة "**بالسلوجي**" ويعني كلبٌ خاص باصطياد الأرنب والغزال وموجود بكثرة ويربى.

---

(١) **خُبزة الملة**: تسمى في العربية خُبزُ المِلَّةِ، وتسمى في اللهجة الدارجة المرزوقية (من دوز) خُبزة المِلَّه بالكسرِ. وبطبيعة الحال أشهر المواضع التي تَنضَجُ فيها هذه الأنواع من الخُبز هي الصحراء الجنوبية البعيدة؛ حيث الرمال الصافية والمناخ البيئي الجاف الذي يسمحُ بوجودِ الملَّال. تتمثلُ عمليةُ الطهي في إعداد العجين أولًا بخلط الدقيق والماء وعجنهما عجنًا جيدًا إلى أن تستويَ الخُبزةُ في شكلِ عجين طري استواءًا تامًا وفي الأثناء يكونُ الطاهي قد أعدَ الكثير من الحطب اليابس وأشعلهُ في شكل كوم كبير ويكونُ قد هيأ الأرضيةَ من الأسفل، "الأرضية الترابية" لكي يجدَ بعد أن تكونَ النارُ قد استوت الكثير من الجمر، فعملية الرمي تتمثلُ في الآتي: يُزيحُ الطاهي الجمر الأحمر المتقد جانبًا ولا يتركُ في القاع إلَّا القليل من الجمر ليطرحَ عليهِ الخُبزةَ ثم يُعيدُ الباقي من الجمر والملَّال؛ و" الملَّال" هو التراب الذي حَمَتهُ النار جيدًا حتى صارَ لا يُطاق ولا يمكن لإنسان أن يمسهُ بيده وإلَّا احترقَ، فَما يمسُّ العجين هو ذلك الملَّال فقط وسبحان الله من حكمة ربنا أنَّ العجين لا يختلطُ بالملَّال ومعناها أن يمسّ العجين فقط الحرارة ويبقى هُنا كعازل بينهُ وبين الملَّال نظرًا لشدة الحرارة بينما لو جربنا الوضعية العكسية التي هي بوضع التراب العادي على العجين لاختلط ولفسد طعم الخُبز. وعملية المِلّ هذه تستمر تقريبًا من خمس عشرةَ دقيقة إلى عشرين دقيقة. والماهرون في هذه الصناعة يكتفون برمية واحدة أي بملّةٍ واحدة والذين يحتاطون للأمر احتياطًا كبيرًا يقلّبون الخبز ظهرًا لبطن فيخشى أن تحترق في جانبٍ من الجوانب فيُخرجُها مرةً أولى ويراقب جانبها السُفلي عسى ألَّا يحترقَ ويُعيدُها من جانبها العلوي فيضعهُ في الأسفل لكي تنضجَ بشكلٍ متساوٍ وهذه العملية الثانية لا تستغرق سوى دقيقتين أو ثلاث دقائق لتكونَ الخُبزَة قد نضجت والبعض من الجالسين تفوحُ عليهم رائحةُ الخُبز من خلال الرماد المغطى هذا، فيخرجها ويمارسُ عليها برفق عمليةَ النّفض أو "التنفيض"، وهو أن يأتي بخرقة نظيفة ويمسكها بطرفِ يدهِ ويضرب الخُبزَ ضربًا خفيفًا هينًا لينًا حتى ينقشعَ عنها كلُ ما يكون خارجًا عنها من الرماد أو من الجمر الطافي أو من الفحم وهكذا، وبعد ذلك تكونُ الخُبزةُ قد استوت.

(صورة رقم ٢، ٣، ٤)

"ألتقطت بواسطة الصديق والباحث "الشريف بن محمد" لخبزة الملة وكيفية انتاجها بداية من الدقيق المستخدم في صنعها، وحتى تصبح خبز جاهز للأكل)

وهي من التأثيرات الهلالية على المجتمع التونسي الجنوبي.

حيث شاهد الباحث أثناء العرض الختامي للمهرجان الدولي للقصور الصحراوية بتطاوين في الجنوب التونسي عرض لكلب وأخفوا أرنبًا وقد لحقه الكلب إلى أن وصل له واصطاده. بمجهود ذاتي ويرقد وراءه بنفسه ففي الخرجة الأولي الأرنب فائز لأنه أسرع، ولكنهم يراهنون على الحيل فمثلًا صيدها وقت القيلولة، فبعد أن تتعب فيصطاده وهذا الأثر لازال موجودًا إلى الآن.

(صورة رقم ٥، ٦)

ألتقطت بواسطة الباحث. تجمع الباحث مع مجموعة من الأصدقاء بصحراء مدينة دوز. وتدلل على كيفية التكيف مع الصحراء، بصنع بعض الأكلات التي كان يصنعها الهلاليين مثل خبزة الملة والرفيسة.

الخيمة التقليدية:

الحنينُ إلى البادية مجالُ فخرٍ بالخيمة التّقليديّة، إذا كان أبو العلاء المعرّي في رائيّته المعروفة قد جعل الحسنَ وَقفًا على بيتين فعزّز الصّلة بين بيتِ الشِّعْرِ وبيتِ الشَّعَرِ:

فالحسنُ يظهر في بيتين رونقُه بيتٍ من الشِّعْرِ أو بيتٍ من الشَّعَر[1].

فإنّ الشّاعرَ الكبير علي بيله[2] قرنَ الأمرين معا حين وصف في شعره بيتَ الشَّعَر (الخيمة التّقليديّة)، مشدّدا على متانته وقدرته على مواجهة الأنواء والعواصف:

بِيـــتِ الشّـــعَرْ لَا شَـــــطَّرْ فِي نْهَارْ قِرَّه وِالسّحَابْ يْمَطِّرْ

لَا تْلَيّقَـه لَا تْخَـافْ مِنْـه يْقَطِّـرْ لَا نَـزْ يَرْقَى مْعَاهْ فِي سِيسَـانَه

لَا قُفُـلْ لَا مِفْتَـاحْ بَـاشِ يْسَـكِّرْ لَا دِهـنْ بَـاشِ "تْبَنِثْـرُوا" بِيبَانَـه

هذا وصفٌ شديدُ الإيجاز للخيمة البدويّة الأصيلة. وقد كان يمكن للوصف ألّا يثير انتباهنا لو أنّه صدر عن شاعرٍ بدويٍّ أصيلٍ عاش في الصّحراء فأخلص لها العيش. لكنّ الوصف يختلف بعين شاعر تسكنه الصّحراء رغم أنّه يسكن بيتا إسمنتيّا باردا في شقّة صغيرة في عمارة قديمة يقطنها مهاجرو الشّمال الإفريقيّ في مدينة ليون الفرنسيّة. وهذه المفارقة هي التي عزّزت الفخر المبطّن فجعلت خيمةً في العراء الصّحراويّ مناطَ الإشادة والتّنويه.

١ . البيت الأوّل:

بِيـــتِ الشّـــعَرْ لَا شَـــــطَّرْ فِي نْهَارْ قِرَّه وِالسّحَابْ يْمَطِّرْ

يجزم الشّاعر في وثوق أنّه لا تأثير للمطر في هذه الخيمة التّقليديّة بدليل الفعل "لَا شَطَّرْ"، و(لَا) في هذا الموضع ليست نافية أو ناهية وإنّما هي دالّة على الشّرط بمعنى (إذا)، و"شَطَّرْ" بمعنى تماسك واشتدّ، فإذا تماسكت الخيمةُ امتنع المطرُ عن التسرّب داخلها وكفّ

(١) يتوهّم البعض أنّ هذا البيت للأمير عبد القادر الجزائريّ. والحقّ أنّ الأميرَ قد ضمّن بيت أبي العلاء في القصيدة التي امتدح فيها البادية حين قال:

قَـــــالَ الأُلَى قَـــــوْلًا يُصَـــــدِّقُهُ نَقْـــلٌ وَعَقْـــلٌ وَمَـــا لِلْحَـــقِّ مِـــنْ غِـــيَرِ

الحُسْـــنُ يَظْهَـــرُ فِي بَيْتَـــيْنِ رَوْنَقُـــهُ بَيْـــتٍ مِـــنَ الشِّـــعْرِ أَوْ بَيْـــتٍ مِـــنَ الشَّـــعَرِ

(٢) **الشّاعر علي بيله**: من الشّعراء المتميّزين بالأسلوب السّهل الممتنع. عاش المهجر مرّتين في ليبيا وفرنسا، وقد عمّرت تجربة الهجرة في فرنسا طويلا وأثّرت في حياته وشعره. له ديوانٌ مخطوط جلُّه في الحنين إلى الوطن ووصف أحوال المغتربين والسّخرية من الواقع المعيش.

الماءُ عن التّقاطر كلّما ازداد الهطول. والبدوُ في بعض لهجاتهم يطلقون على الخيمة في هذه الحال نعت "الكفر" فيقولون: "البِيتْ يُكْفُرْ"، وما الكُفْرُ هنا سوى صدِّ هطول الماء والامتناع عن تسرّب قطراتِه إلى الدّاخل. والخلاصةُ أنّ البدويّ موضوعٌ في تقاطب جليّ فهو مجبرٌ على الرّحيل ومضطرٌّ للخيمة وطالبٌ للمطر، ووسط هذا المثلّث يبرز الفخر وتظهر الأصالة.

٢ . البيتان الثاني والثالث:

لَا تْلَيّقَـه لَا تْخَـافْ مِنْـه يْقَطِّـرْ لَا نَـزْ يَرْقَـى مْعَـاهْ فِـي سِيسَـانَه

لَا قُفُـلْ لَا مِفْتَـاحْ بَـاشِ يْسَـكِّرْ لَا دِهـنْ بَـاشٍ "تْبَنِتْـرُوا" بِيبَانَـه

استبدّت بالبيتين هذه الـ"لَا" المتردّدة بين النهي والنّفي، وقد تكرّرت ستّ مرّات لترسّخ عالمًا بدويّا مختلفا متخفّفا من أثقال المدينة وشروطها المجحفة. كلّ ما في البيتيْن يعكس الأدوار ويقدّم في ذهن الشّاعر حلمًا عاشه في الصّغر ويستذكره كهلًا حين يُشِيعُ في البيت عالمًا غيرَ بدويّ دلّ عليه معجم "اللّيقَه" و"القاطر" و"النزّ" و"السّيسان" (جمع "ساس") و"القفل" و"المفتاح" و"الدّهن"، وكلّها كلماتٌ من عالم البناء والاستقرار (ضدّ الرّحيل والنّجعة). فالبيتان فاضحان للعالم البدويّ حين داهمته المدينةُ، ومن أشراط التمدّن المُكْثُ والاستقرار والتّأسيس، ولكنّ من توابع التمدّن الانغلاقَ والحصر والضّيق ضدّ ما في هذه الخيمة البدويّة من اتّساع ورحابة جعلت شاعرا آخر يطريها في لون من الشّعر الشّفويّ يسمّى "أغاني الرّحَى" فخرًا بمجموع الخيام أو " البْيُوتْ" تشكّل مجتمعةً شبهَ نصف دائرة مهيبة تدلّ على أنّ أهل المكان في حال الغنى والوفرة:

إِنْشِـدْ عَلِـيهُمْ وْدَوّرْ هَـا البِيـتْ كِيـفْ السّـحَابَه

أهـل الفِرِيـق المْقَـوّرْ بْعِيـدْ أَوّلَـه عَـلْ عَقَابَـه

فتشبيه البيتِ العربيّ التقليديّ بالسّحابة له دلالاتٌ بعيدةٌ أدناها إشادةٌ بالاتّساع والرّحابة وأعلاها يُومِئُ إلى الخير المدرار كرمًا وسخاءَ طبعٍ عند أهله. "**وكان نمط السُكنة بسيط جدًا فهي عبارة عن خيمة تلف وتوضع فوق البعير (الجمل)**".

إنّ وجدان الشّاعر علي بيله منصرف عن هوى المدينة رغم عيشه في أكثرها تمدّنا وتحضّرا، وهذه ملاحظةٌ حريّة بالدّرس والتأمّل. قد تكون بلاد الثّلج أضرّت بالشّاعر نفسيّا وبدنيّا فجعلت حنينَه إلى مراتع الصّبا يفيض وجدًا إلى الخيمة العربيّة فيطريها إطراءً وكأنّها الجنّة، وهذا عيْنُه ما جعل امرأةً بدويّةً تُطْرِي الخيمةَ وتجعل تفقّد أطنابها والأوتاد غايةَ المنى في اللّيلة الماطرة:

أَنِـي غَـايْتِي بِيـتْ الشّـعَرْ مْضَـرَّى[1] **وْدُورَه عَلَـى الأَطْنَـابْ لِيلَـةْ قِـرَّه**[2]

أمّا البدويّ الذي أرهقته المدينة فإنّه يجرّد المدن من كلّ فضل حين يغيّب واعيًا المظاهر الإيجابيّة للتمدّن ولا يستحضر سوى "سلبياتها" فحسب. وفي المقابل تنمو في خياله كمالات الخيمة التقليدية فكأنّها القصر المنيف. ألا يرجعنا هذا الحنين الموغل للصّحراء إلى تلك البدويّة [3] التي سكنت المدينة وحنّت إلى أهلها في الصّحراء فغنّت: [الوافر](**هذا الجزء الخاص بالخيمة التقليدية للباحث "الشريف بن محمد" دوز ٢٠٢٠**).

لَبَيْـــتٌ تخفـــق الأرواحُ فيـــه أحـــبُّ إلـــيَّ مـــن قصـــرٍ مُنيـــف

خشـــونةُ عيشـــتي فـــي البـــدو أشـــهى إلـــى نفســـي مـــن العـــيش الطّريـــف

(١) **أَنِي غَايْتِي بِيتْ الشُّعَرْ مْضَرَّى**: حدّ المنى عندي أن تكون الخيمة التقليديّة منصوبةً يسيّجها من الجهة الأماميّة "ضْرَى" يحمي مقدّمها ويحطي للمقيمين فيها براحَ حركةٍ وهامشَ اجتماع.

(٢) **وْدُورَه عَلَى الأَطْنَابْ لِيلَةْ قِرَّه**: من اللّوازم عند البدو في اللّيلة الممطرة تفقّد الخيمة بالنّؤي (حفر مجاري الماء حولها كي لا يستقرّ بداخلها)، وتفقّد أوتادها بغية مزيد التثبيت حذر الاقتلاع.

(٣) يغلب على ظنّ الرّواة أنّ القصيدة لميسون الكلبيّة بعد زواجها من معاوية بن أبي سفيان.

(صورة رقم ٧، ٨)

ألتقطت بواسطة "الهادي بلحاج إبراهيم، من مدينة دوز، والأخرى، لأحد المصورين في صحراء مدينة دوز، للخيمة البدوية والتي كانت مسكنًا للهلاليين

ومن الآثار الهلالية: يرى الباحث "**الشريف بن محمد**" أنه يرجع هذا بسبب التغير الثقافي ويعني أن البيئة المُختلفة تنتج آثارًا ثقافية مختلفة، لا يعني ذلك أن هناك تناقضًا أبدًا، وإنما طريقة تعبيرنا عن هذا الأمر تختلف فالتناول يختلف من مجتمع لآخر ومن بيئة لأخرى. وتعني اختلافات التغير والبيئة لن تفرز بالضرورة اختلافًا جذريًا، وإنما هي اختلافات في المسميات فقط. حيث توجد آثار تؤكد أن هذه السيرة الهلالية ورَّثت تراثًا في المأكل وفي الملبس وفي الغذاء وفي السلوك. **وكنت من المدافعين** لأن هناك نظرية تقول أن السيرة الهلالية جاءت كالجراد المنتشر فحطمت كل شيء، فأنا أقول وأحسب أن هذا الرأي موضوعي إنها جاءت بقصد الغزو والإغارة لا شك فيه ولكن المحمول الثقافي لم يغب، ولكن ما تركه بني هلال وإن لم يكن مقصودًا إلَّا أنه استمر فاعلًا فعلًا إيجابيًا له من الدلالة والحنكة ما فيه.

وتقتضي الموضوعية كذلك أن نقول **أن السيرة الهلالية خلَّفت أشياء سلبية** فمثلًا نظرية الإغارة والسلب والنهب والغزو، وكما يقال بالتونسي" **فك حقك بذراعك**" هذه غزَّاها بنو هلال بطريقة رفعت السقف عاليًا، فإمَّا أن تكون قاتلًا أو مقتولًا. وهذه الصفات تكاد تكون مشتركة بين الجنوب التونسي والجنوب المصري من الغلظة وصعوبة التفاهم، والسمات النفسية والسلوكية فعندما تنشأ خصومة في المدينة ويراد الصلح يسير الناس إليه بأيسر السبل وهذه من مخلَّفات بنو هلال، فالإساءة يصعب تقبُلها.

وعن مرقب دياب: يقول "الهادي بالحاج إبراهيم"[(١)].

يقع مرقب دياب شرقي مدينة دوز بحوالي ٤٠ كم، وهو هضبة مرتفعة تقع في شمال اثنان من الأودية المتقاطعات، وكانت هذه الأرض بهذه المنطقة شديدة الخصوبة.

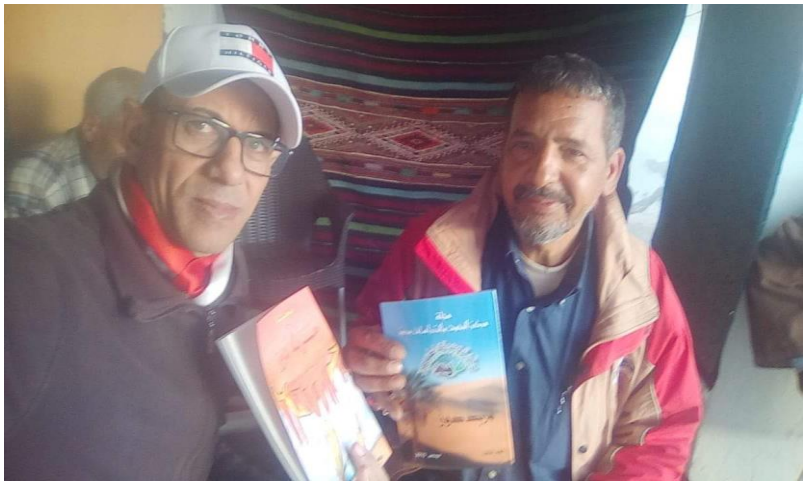

(صورة رقم ٩)

ألتقطت بواسطة الباحث، تجمع الباحث بالباحث "الهادي بالحاج إبراهيم"

في مدينة دوز في الأول من أبريل ٢٠١٩

وكان دياب يلعب **الخربقة** [(٢)] في هذا المرتفع، ويشاهد الإبل وهي ترعى، وأيضًا يمكنه مشاهدة أي عدو يقترب من الإبل، فهو مرتفع للمراقبة، ولا يوجد به أي بناء، فقط مكان مرتفع، وهو على ارتفاع ٣٦٠ درجة عند النظر لبعد ٦٠، أو ٧٠ كم ليرى من خلاله.

وهي مناطق فقط تحمل أساميهم ولا يوجد أي تأكيد على آثارهم. وأيضًا بير **عقارب** يقولون "هيشير جازية"، وهي آثار رومانية، وهشير تعني منطقة بها آثار رومانية، والأسطورة تحكي على هيشير الجازية الهلالية.

---

(١) **الهادي بلحاج إبراهيم**، من دوز، من عائلة بدوية، كانوا يعيشوا في الصحراء، ويعمل في الصناعات التقليدية، وبيع، ويصنع، الأحذية التقليدية، وهذه المهنة ورثها عن جده، ويعمل باحث في آثار ما قبل التاريخ. ومن خلال الرحلات، إكتشف وشاهد العديد من المعالم الأثرية المهملة، تعاون مع فريق بحث إيطالي، من سنة ١٩٨٣، حتى ٢٠١٠، وأنجزوا كتاب، وعنوانه "بلاد الآبار" ومن بعد شغله كمرافق للسياحة الصحراوية، عرف الكثير من الأسرار، وكل رحلة بأسرار جديدة وبمفاجئات جديدة، وفي سنة ٢٠١٤ ومن خلال بحث تقوم به جامعة إيطاليا، ومعهد التراث الوطني التونسي، وجامعة القيروان. وهو بحث يشرح ما قبل التاريخ في الجنوب التونسي.

(٢) **الخربقة:** هي لعبة شعبية يتم تسطيرها على الأرض، ودياب عملها على الحجر وهي تشبه لعبة السيجة في مصر، وحاليًا يلعبها كبار السن في سوق دوز، وهي مربوطة بقصة بني هلال ومتوارثة عنهم.

ومن العادات والتقاليد التي توارثت عن الهلاليين إلى يومنا هذا عند أبناء دوز والجنوب التونسي، منها حب الصحراء، وحب تربية الإبل، وحب الخيمة، وهي مربوطة بالصحراء، والخيل، والأزياء التقليدية، والالعاب مثل هذه اللعبة وهي **الخربقة**، وحب الشعر، بالرغم من وجود حاجز وهو شبابنا، والذي يحيد على العادات والتقاليد التي ورثناها عن الهلاليين، والذي يتتبع في الأوروبيين، في اللباس، والأغاني، استعمال الهاتف. فوقت نُحب نسمي راعي إبل عندما يكون ناجح في عمله يقولوا الراعي الفلاني حجازي يعني راعي من أبناء الحجاز، وهي ميزة، وفخر

وانتماء نبيل.

(صورة رقم ١٠، ١١)

"تبين أهمية لعبة الخربقة، كما في الجنوب التونس، أو (السيجة)، كما في الجنوب المصري، أو اريف المصري، أيضًا، والتي يلعبها كبار السن، وحتى الآن وهي من التأثيرات الهلالية".

أيضًا، توارثنا الشعر والبطولة، وتربية الإبل "الجمال"، وتوارثنا عن الجازية حكمتها، واقتصاد دوز قائم على الفلاحة مثل تربية النخيل، وتصدير أجود أنواع التمور، وتربية الماشية "الإبل والأغنام، وفيه شق آخر هو السياحة الصحراوية. أمَّا بالنسبة للأكلات فكانوا قديمًا يطيبوا في أكلات، منها الكسكسي، والرفيسة وهي "الخبز والتمر ودهان".

أمَّا الزي، "اللباس" خارج من الأغنام والإبل، فصنعوا منه لباسهم بأنسفهم فصنعه البرنوس، والكشاب، والجبة، وهذه ميزة من ميزات الهلاليين. ومن ناحية تأثير الهلاليين على اللغة، فهذه المنطقة كان يقطن بها البربر وتعربوا بفضل الهلاليين، ولكن هناك مناطق صغيرة لازال يتكلمون فيها البربرية، أمَّا اللغة السائدة هي العربية.

وهنا نشير لكتاب قام به المستشرق **جلبير بوريس** عن لغة المرازيق باللغة الفرنسية، ومكون من كتابين، **الكتاب الأول** "حكايات عن المرازيق" وهي حكايات عن طريقة عيشتهم، وهي

حكاية سردية، **والكتاب الثاني** عبارة عن معجم من لغة المرازيق للغة الفرنسية، به ٩٠٠٠ كلمة. وكان ذلك في عام ١٩١٠إلى عام ١٩٣٦، وصدر في فرنسا. ودوز هي قبائل كثيرة أكبرهم المرازيق وتأتي بعد العذارة، ثم غريب، أولاد عقوب، توافدت الكثير من القبائل مثل شتاوة، وغيرها وتعايشوا جميعًا، أمَّا الأصل هم بني سليم وبني هلال. والمرازيق هم فرع من بني سليم.

ومن التأثيرات الهلالية وأبطالها على الموروث الثقافي التونسي:

يرى الشاعر والغناي"**رضا عبد اللطيف**[١]" **أن** التأثير على الموروث الثقافي لهذه السير الهلالية والحياة التونسية، فكان انتماء القبائل العربية للسيرة الهلالية وتطورت في ميادين حياتها، كما تطورت المجتمعات، لكن السيرة الهلالية أخذت انتشار واهتمام بمصر أكثر من تونس وخاصة في صعيد مصر، لأنهم يهتمون كثيرًا بها. فكان الهدف من الزحف الهلالي إلى إفريقية عاطل، وكان رمي الظالمين بالظالمين، **فالمعز لدين الله الفاطمي**، انتقامًا لاستقلال **المعز بن باديس** بخطبة الجمعة في جوامع تونس بإسمه، وبداية استقلاله بإفريقية حشود الهلاليين التي حشدت في الصعيد المصري شرق النيل بعد حرب الأقباط في الحجاز وبعد حرب الفاطميين مكافأة للهلاليين بمراعي جديدة وبأراضي خصبة بإيعاذ من وزير المعز لدين الله الفاطمي بداية منه لضرب الهلاليين بالأمازيغ في إفريقية. **وفي بداية الزحف:** أن كل هلالي يقطع النيل غربًا له دينار ذهب وناقة من الوزير، لأنهم في البداية رفضوا أن يقطعوا، وكان هذا المقابل لإغرائهم، وقت تواترت الهجرات وجاءت الأخبار على خصب أرض تونس، يقولو لهم جينا الأرض زرع وضرع ناسها خيلها كبرت بطونها" وفي الحرب يبدعون، معناها ناس جاهزة للحرب. وجاءت كل قبائل بني هلال وبني سليم ودريد ورياح ومنهم من لم يصل إلى تونس وذهب إلى ليبيا. فالزحف الهلالي أثر تأثير ثقافي وحضاري واجتماعي، فقد أثر تأثير كبير من كل الجوانب على إفريقية "تونس" أكثر من الفتح الإسلامي الأول، منه الإيجابي ومنه السلبي، ولكن إيجابياته أكثر من سلبياته، فإيجابياته كانت بعيدة المدى، ولكن في وقت الأحداث كانت سلبيات من خلال الحروب، فكان الغرض دمار.

ومن الإيجابيات: أن رسخ في تونس في شمال إفريقيا اللغة العربية القحه لغة البدو، وفي دراسة **لدكتور سوري** من جامعة دمشق في دراسة وقعت في أول التسعينات على اللهجات العربية، يقول أنَّ أقرب اللهجات البدوية إلى اللغة العربية هي لهجات الجنوب التونسي، وخاصة

(١) **الشاعر والغناي: رضا عبداللطيف** فنان شعبي من أبناء دوز، يوم، الأحد ٣١ مارس ٢٠١٩ بساحة محمد المرزوقي، والذي غنى أغاني السيرة الهلالية في ملحمة خضراء.

لهجة المرازيق، مع الصعيد المصري، والبادية الأردنية، والعراقية، وهذه المناطق كانت خط استيطان لقبائل بني هلال وبني سليم. وكان أيضًا لهم الفضل في إعمار الكثير من المناطق الصحراوية في تونس قبائل المرازيق وغيرها من القبائل، والاختلاط الذي وقع بين القبائل العربية من البطون العربية الأولى التي جاءت مع الزحف مع القبائل البربرية الأمازيغية، صار النسيج المجتمعي التونسي، من خلال التصاهر.

وبالرغم من كل ذلك فنجد أن الأمازيغ حافظوا على لهجتهم الأمازيغية، وعاداتهم وتقاليدهم، وفيهم المتعصب، كما أن في العرب المتعصب. فتسببت في تنوع الوجه الثقافي والمجتمعي، وتسببت أيضًا في تنوع النسيج المجتمعي في تونس، وفي ترسيخ ثقافة عربية، ولهجات عربية، والشعر، وخاصة الشعر في الجنوب التونسي.

أمَّا عن الأسباب التي أدت إلى تنوع روايات السيرة الهلالية: فيرى "**الباحث الشريف بن محمد**" أن الجذر واحد وهو هذه الثقافة العربية ولكن التلوينات مُختلفة، فيُمكن أن نتفق أن الهوية واحدة التغريبة، ولكن كيف يمكن أن نُعبِّر عنها وكيف نصوغها وكيف يؤديها ويتفاعل معها الجمهور بل كيف تنشأ في كل موطن نشأة جديدة كأنها بكر هذا هو مجال التغاير الثقافي وهذا ليس غريبًا. وهو تعبير جيد على الاختلاف الدال على الخصوبة، الاختلاف الدال على أننا عندما نُعبِّر بشكل غير متناظر وشبيه لسنا مختلفين وإنَّما تعبيراتنا اختلفت لأنها تنشدُ هذه الخصوبة المُختلفة، ورواية السيرة الهلالية مختلفة عن رواية أُخرى في الشمال التونسي، فتختلف على مستوى المجتمع الواحد لأنه قديمًا كان يتشكل من قبائل ولهجات، وهذه القبائل واللهجات تصوغ كُلِ منها بطريقة تناسبها.

ويرى "الشاعر والغناي رضا عبد اللطيف": من أسباب تغير أحداث وروايات السيرة من مجتمع لآخر، لأنَّ كل مجُتمع حسبما يراها، فلم يقع في إبانها، وتأريخها، تأريخ علمي، بأحداثها بتواريخها بشخصياتها، وهذا ما جعل الباب مفتوح أمام التأويلات، وأمام الأهواء، وأمام الأسطورة. حيث دخل عليها أحداث أسطورية لا تصدق ولا تمت للواقع بشيء، ولكن حاجة الناس لذلك ، بالجهل، وبالبساطة، في التفكير، ولأبطال خارقة تكون قدوة للمجتمعات، حيث صوروا جمال **الجازية** في بعض الروايات أن الجازية تنسب في جانب منها للجان، واختلط فيها الإنس بالجان، أسطورة **أبوزيد**، على أن كيف أنجبته أمه أسود اللون، على أسطورة **دياب** في بطولاته وفي قدراته الجسدية، فهذه تختلف من بيئة لبيئة، ومن مجتمع لمجتمع حسب البيئة، وثقافتها. فعندما تأتي للمرازيق فيقول لك ها هو **مرقب دياب** على بعد حوالي ٣٢ كيلو من دوز، وتوراثناه كابر عن

كابر، وجيل عن جيل، فيقول الراوي عن دياب، عندما يقف فوق المرقب، أنه ربوة وسط الصحراء، مرتفع مُطل على ما يدور بها من أرض، فتجعل الأسطورة من دياب بطل خارق لدرجة أن "بعيطة" أي بصيحة واحدة يجمع "البل" أي الإبل من على مسافة يومين، وهذا لا يصدق، وحتى إذا تم اليوم بالاستعانة بمكبرات الصوت فلم تصل. ولكن كانت الناس السُزَّج والبسطاء في حاجة لبطل خارق يكون قادح للعزايم ولأمل في شيء مفقود، وكان هؤلاء الناس لا يخطئوا، ولا يهزموا. وهذا ما أدى بالرواة إلى تغيير بعض النهايات، وبعض الأحداث خوفًا من أن لم يتم دعوتهم في ليالي أُخرى إذا صوروا البطل في موقف المهزوم، وهو ما يرفضونه.

ويرى "الأستاذ عز الدين بلطيب" [1]. أن التنوع طبيعي لأنه مع مرور الزمن تتغير الرواية الشفوية للسيرة الهلالية، حتى من جهة إلى جهة، فالخبر يكبر ويتغير من خلال فن الرواية والحبكة، والتناقل، فكل يحكي من زاوية معينة فهناك من يحكي من خلال الشعر، والآخر يحكي من خلال الخوارق، أبوزيد، ودياب، والزازية، فكانوا عندما يحكولنا على الزازية كيف كان شعرها. حيث تختلف الرواية من جهة إلى جهة ومن جيل إلى جيل ومن مدينة إلى مدينة، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر.

ويكمل"رضا عبد اللطيف: أن من أسباب عدم اهتمام المؤرخين في زمنهم خاصة في **القيروان**، لأنها كانت من أهم مدن شمال إفريقيا، بل من أهم المدن العربية في وقتها، وشهدت على الكثير من أحداث السيرة الهلالية أنهم كانوا أهل فساد وإفساد، ولذلك سمي الزحف الهلالي، حيث **يقول "ابن رشيق القيرواني"** أنهم كالجراد المنتشر، إذا دخلوا مدينة أحرقوها وافسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

ثم عادت طاحونة الثأر والتي تنحت من قبائل بني هلال بأكملها، ثم إنتقلت حلقاتها إلى الصعيد المصري، ومع توافد القبائل الأُخرى التي جاءت بعد بني هلال، وبني سليم وغيرهم عمَّت نوع من الفوضى، فغرَّب من غرَّب للمغرب، والجزائر، واستوطن من استوطن في تونس، ورجع من رجع إلى ليبيا، ومصر.

وبعد ما تفرقوا ، فكل قبيلة استكانت بما لديها، والقبائل العربية تأثرت وأثرت تغطي هزائمها وتروي انتصارتها، ثم حدث تصاهر بين الأمازيغ والعرب لأن الأمازيغ في حكم قلة

(١) **الأستاذ: عز الدين بلطيب**: يعمل أستاذ ومدير مدرسة، مهتم بالسيرة الهلالية، ترأس مهرجان الشعر الشعبي بمدينة دوز لعدة دورات، من مدينة دوز.، تم عمل مقابلة معه بساحة محمد المرزوقي، بشهر أبريل ٢٠١٩

بسبب الفتوحات الإسلامية، والحروب التي جرت، وكانوا يتحاشوا الاختلاط مع العرب إلى أن طال الأمد، وحدث اختلاط، وتصاهروا وشكَّلت النسيج المجُتمعي الموجود في تونس.

ويرى الشاعر والباحث "**لمجد بنمنصور**" [(١)]. أن هناك بعض الآثار والعادات، والتقاليد التي كان يفعلها الهلاليين وباقية حتى اليوم، فيقال أن الهلاليين إذا حدث عُرس، فدائمًا يفضل أن يبدأ بيوم الإثنين، أو الخميس وعندما الانتقال من مكان إلى مكان آخر يرحلون يوم الخميس، ودائمًا في الجنوب التونسي يكون العُرس يوم الخميس، أو الإثنين، وهناك تشاؤم من يوم الأربعاء، فهذه من تأثيرات الهلاليين.

وأيضًا يأخذو الفال من أفواه الصغار،(أي يأخذوا آراء الصغار في بعض القرارات)، ويقال هنا فالكم عند صغاركم، وأيضًا يُضرب المثل بالرجل القوي الفارس ويقال عليه رجل هلالي، ويُقال أن عنده مبدأ وقيم ويكون له شوارب. وهي صفات كان يتمتع بها الهلاليين، فتحولت الهلالية من إسم إلى صفة، وحتى السيدات إذا كانت المرأة كادحة وعاملة، ولديها صفات تميزها عن غيرها، فيقال هذه إمرأة هلالية حُرة، أي تُربي أطفالها وتهتم بزوجها وبيتها، وتكون صبورة، فهي تتمتع بكل الصفات اللازمة للمرأة الجيدة.

ومن العادات الباقية، والعادات التي اختفت من السيرة الهلالية. نجد الثوابت الباقية في المُجتمع وخصوصًا في الجنوب أكثر من الشمال، ففي الجنوب أهل **المدر**، والشمال أهل **الحضر**، لأنهم مدينة. وذلك لتأثير البادية، والصحراء، والفلاحة، هي ما جعلت أن الجنوب يحتفظ بهذه الثوابت، ومن الثوابت أيضًا هي الفروسية، ولكن لا يوجد اليوم من يحمل سيفًا ويركب فرسًا. ولكنهم يجيدون ركوب الخيل حتى الآن كنوع من الاحتفاظ بالتراث.

وما بقي من التأثيرات اللا مادية أي الشفوية، نجد أن أكثر الرواة اشتغلوا على الميزان الهلالي الأصلي، وهو الميزان الطويل الخليلي، وتفعيلته هكذا، طويل له دون البحور فضائل، **فَعول مفاعيل، فعول مفاعل**، وهذه هي تفعيلة البحر الطويل،" **ساهر بات الليل في عيون ربدتي وعيني جفاها النوم ما حبِّش يلومها**". وهذا هو ميزان الهلالي ، وهو ميزان صعب، "**فهو قالب لا هو دارج ، ولا هو مهجور**" فمن يكتب به يكتب بحذر، فالكتابة فيه تتطلب حسابات خاصة، وفقط يستعملوه فحول الشعراء أي كبار الشعراء أحيَانًا والرواة الشعبيين لديهم أشعارهم على الميزان الهلالي، عندما يروون السيرة الهلالية.

---

(١) **الشاعر: لمجد بن بلقاسم بنمنصور**: شاعر شعبي، وفصيح، مهتم بالبحث في السيرة الهلالية بين مقارنة السيرة الهلالية بين الأسطورة والواقع، من منطقة نويل، التابعة لمدينة دوز.، تم عمل مقابلة معه في مدينة دوز، بساحة محمد المرزوقي، بشهر أبريل ٢٠١٩

ونجد أن البطل في الشرق حتى في مصر هو أبوزيد الهلالي، أمَّا في تونس إذا ذُكرت السيرة الهلالية تُذكر الجازية، ويقولون إحكيلنا حكاية الجازية الهلالية، أي ما يهمهم في السيرة الهلالية هي الجازية وبطولاتها، والأحداث التي تواجدت فيها، وفي الجزائر البطل هو ذياب بن غانم. أي تنوع الأماكن بتنوع الرمز، ولكن في تونس عندها الرمزية هي النساء من بداية التاريخ. فكل منطقة حسب مفهومها للسيرة الهلالية، وأبطالها وما يمثل لهم في المعتقد الشعبي، واتخاذها بطل بعينه تبني عليه طموحها.

- **القيم الاجتماعية:**

ويقصد بالقيم الاجتماعية: كل القيم الأخلاقية، من حيث روح جماعية متماسكة متفانية في الفرد، أو ذاتية ذائبة في الجماعة، لا ترى نفسها أفقًا غير أفق الجماعة، إلى حبهم الحرية والتطلّع إلى أقصى ما يمكن من حدود الحرية، التي تعكسها وتصورها، وتصدقها وتؤمن بها النظرة الهلالية، إلى تصرفات أعضائها، بحيث يبدو لنا مجتمع التغريبة مجتمعًا مسالمًا ينشد الحرية، ويريد الوصول إلى تونس بأمن وسلام. وقد تكون حريته في انتزاع حرية الآخرين أو التضييق عليهم**(بو خالفه عزي، ٢٠٠٢، ص٣٣٤)**.

ويكمل الباحث والشاعر "**لمجد بنمنصور**" أن في ليبيا يتخذوا رمزية الأحداث من السيرة أكثر من الأبطال، في تخيلاتهم وطموحهم، من المواقف وليس الأشخاص، فيأخذوا من الأحداث العبر ويبنو عليها من آلامهم وغيرها من الأمور، فالهدف الذي يأخذه الراوي من الأحداث نفسها وليس من الأبطال. فالسيرة الهلالية غنية بالحكمة وبالقيم، فهي سيرة هادفة، وكل حدث له مغزى معين، يرنوا له، من الفروسية، من التآذر، والتكافل، والصبر على البلاء. وهذا يرجع بنا إلى الحقيقة التاريخية، فهل الحكمة بالفعل كانت موجودة، أم هي إضافة من الحكواتي. فكانت تروى السيرة، وكل ليلة يختم بحكمة، فهي هدف. فالتخيل في السيرة، دائمًا ما يكون موجود، فالشاعر يضيف من مخيلته، فهذا حدث من ألف سنة أو أكثر، لا يمكن أن تكون حضرته أو تكون شاهد عيان عليه، وهنا يضيف الحكواتي من خياله وتصوراته الشخصية.

يقول الباحث "**بلقاسم بلجابر**[١]": من السمات الثقافية التي خلَّفتها السيرة الهلالية على المجتمع التونسي بشكل عام وعلى الجنوب التونسي ودوز بشكل خاص.

(١) **الباحث: بلقاسم بالجابر** أستاذ وباحث في الأدب الشعبي والثقافة الشعبية التونسية، متخصص في السيرة الهلالية، يعمل أستاذ للأدب العربي بالمدارس الثانوية التونسية، حاصل على درجة الماجستير حول الإبل في الشعر العربي القديم والشعر الشفوي التونسي.

أولًا: القيم البدوية الأصيلة: النخوة، والفروسية، والنجدة، والكرم، والعزة، إلى غير ذلك من القيم.

ثانيًا: العادات، والتقاليد، وهي من الخصائص الاجتماعية، والحياة في طبيعتها الأولى، مثل الرحلة، والأبل، والأعراس، واللباس (لباس المرأة التونسية)، حيث أخذ من لباس المرأة الهلالية، المليا هاذي، والخلخال، والـ خلال، وغيرها. حيث تم التمازج بين الطابع الأمازيغي الأصلي للبلاد، والطابع الهلالي، هذا التمازج الفريد جدًا وقع هنا في تونس.

ثالثًا: الحكمة: حيث قدمت السيرة الهلالية (حكمة الحياة، حكمة العيش، وحكمة الصراع)، وعلاقة الإنسان بالمكان، وحكمة الصراع من خلال الجازية، فهي كانت إمرأة حكيمة، ولازالت حتى الحكم التي نرويها الآن، عندنا نقول قالت الزازية.

وكثيرًا في دوز ما يذكروا في أمثال "**الجازية**"، ودائمًا يقال قالت "**الزازية**" نسبة لأهلنا في دوز، **مثلًا لمَّا جمعت الجازية أولاد هلال سألتهم، من هو سيد الأتيار، ومن هو سيد الأحجار، ومن هو سيد الأشجار؟** ، فعجزو عن الإجابة. فـ قولت لهم سيد الأتيار هو نسب أعوج المنقار، وسيد الأحجار هو الصوان الذي يقدح النار، وسيد الأشجار هو الصنوبر الذي يشعل منه النار. ولكن أنتم سألتكم أنتم نحن، تحبوا أن تكونوا كيف الصقر النسر وكيف الصوان وكيف الصنوبر، وهذه حكمها، وربّي ولدك على الرخا والشدة.

فحب الهلاليين الحرية صاحبته صفة الكرم، التي تكاد تكون سمة مميزة لحياة البدوي، إلى جانب الثأر والمطالبة به. وقد تتساوى هاتان القيمتان الأخلاقيتان في نظر الفرد والقبيلة، لذلك يسمو فاعلها ويرتقي سلّم المجد**(بو خالفه عزي، ٢٠٠٣، ص٣٣٤)**.

أ- الثـــأر:

تشترك القبائل العربية في تلك القيم الاجتماعية، والثأر يمثل مظهرًا من مظاهر الحياة الاجتماعية الجاهلية العربية، حاربه الإسلام وحرمه. فنتائجه وخيمة على أفراد المجتمع لاستمرار القتل بين الأجيال المتعاقبة. ولا يدعوا إلى استقرار المجتمع المنشود. وللثأر مكانة خاصة في هذه المجتمعات البدوية الشبيهة بالهلاليين، بحيث يُعد حافزًا قويًا لدفع القبيلة المعنية إلى رقي سلّم المجد، فتهابها القبائل وتخشى أن تحوم حول حماها. وعندما يحدث العكس بالسكوت عن الدم، تكون القبيلة محط أطماع كل القبائل ونهبًا لها، تنالها مُختلف الرماح والسيوف والسهام، وتصبح بناتها ونساؤها إماء ويلطخ الشرف، والذي أصيب حينئذ هو العرض والشرف وكبرياء القبيلة**(بو خالفه عزي، ٢٠٠٣، ص٣٣٥)**. وظاهرة الثأر ظلت، كقيمة اجتماعية سياسية.

تمارس تأثيرها على المُجتمعات المعزولة جزئيًا، كالجماعات البدوية، وبدأت تخف حدتها والمطالبة بالثأر بوجود الهيئات القضائية الرسمية التي حلّت محل المطالب بالثأر، ويظهر هذا في الصعيد المصري، وهي آثار قبلية من التأثيرات الهلالية على المجتمع الجنوبي.

ويرى الباحث: الشريف بن محمد: أن الخصائص الاجتماعية لأهل الجنوب: أنه مجتمع به الصراع، بين ما تفترضه الحداثة من أشراط في التكنولوجيا واللباس، والأدوات الحديثة في الطهي وغيرها في كل شيء. ولكن هذا البدوي رغم ما داهمه من وجوه العولمة مازال يحن إلى هذا الماضي، فهنا الحنين يبدو طاغيًا، خاصة عند فئة وسط العمر، وكبار السن، أما الشباب صار عندهم منزع آخر حتى لا نظلم الفئات الشبابية التي لها منزع مختلف ربما، ولكن يوجد هذا المنزع بكثافة. والسيرة الهلالية في جزء منها هي هذا التطواء في الصحراء ومعناها ألم يكون بوسع بني هلال أن يستقروا في صعيد مصر مثلًا، فخيرات النيل واضحة؟. ألم يكون بوسعهم في الجبل الأخضر في ليبيا أو في كل المدائن التي مروا منها كان بإمكانهم الاستقرار؟. ولكن نزعة الرغبة في الُنجعة، التحول والتغير ومتابعة الصحراء هذا يسري في دمائهم وترك أثرًا في هذه البيئة التي تحن إلى عالم البادية.

ب- الكـــرم:

الكرم صفة أخلاقية حميدة اتصف بها العرب منذ الجاهلية وحتى الآن، حيث شكّلت سمة بارزة من سمات هويتهم وشخصيتهم حتى إنهم افتخروا بها، وتنافسوا من أجل حيازة شرف الكرم وقد رسّخ الإسلام هذه الصفة في نفوس المُسلمين ودعًا إلى نبذ العُنف والثأر **(بو خالفه عزي، ٢٠٠٣، ص٣٤٢)**.

وجعلت السيرة هذه الصفة أكثر، في الماضي بن مقرب. شيئًا مُقدسًا وشرفًا صعب المنال. فعندما مدح الشعراء حسن بن سرحان أجزل لهم العطاء، الذي امتنعوا عن أخذه، لأن عطاءه كان دون عطاء غيره / الماضي:

{{واكرم منك الماضي بن مقرب فذلك ما مثّله في الورى وهاب}}

فقال حسن الحمد لله الذي فضّلت علينا ابن عمّنا وما فضّلت علينا واحدًا غريبًا، فهذا الشرف المتماثل والمتنافس عليه ظل في القبيلة الهلالية فالماضي ابن القبيلة. ويرجع ارتياح حسن إلى ما قاله الشاعر بالنظر إلى مكانة الكرم في القبيلة، وإلى مكانة الشاعر كذلك في القبيلة، باعتباره وسيلة إعلامية تنشر قيم القبيلة في المُجتمع البدوي الذي يتصل به، وإلى دوره في نقل ما يشاهد في هذه القبيلة إلى غيره، فدور الشاعر خطير. واعترافه بكرم الماضي بن

مقرب خارج القبيلة الهلالية هو اعتراف بكرم حسن وغيره من الهلاليين**(بو خالفه عزي، ٢٠٠٣، ص٣٤٣)**.

مقابلة مع المخرج والحكواتي كمال بوزيدي[١].

حيث يقول أن هذه الملحمة هي قطعة من الإبداع والفويفساء فهذه التلوينه وهذه التغريدة في عالم الجمال لا نجدها إلَّا وأن ترسم لنا صورة للمرأة وهي الجازية صورة للقوة والكمال والجمال وهو أبوزيد وذياب صورة عن الملاحم التاريخية الكبيرة. **(صورة رقم ١٢)**.

ونحن عندما نذهب إلى مدينة "**توزر**" في الجنوب التونسي نرى الهلاليين موجودين في لباسنا التقليدي، وهذا هو الأثر في الموروث الثقافي، وفي موروثنا المادي، في موروثنا الذي لا نستطيع أن نستغني عنه، لأننا نجد المرأة في الجريد تلبس نفس اللباس التي ترتديه النساء اللاتي قدمن من مصر، وهن أمهات، وأخوات الجازية وهلال وذياب وأبوزيد. ففي الجنوب التونسي مازال "المليا الكحلة"، **والمليا** هي لباس المرأة الجنوبية وهو عبارة عن رداء يشد بحزام صوفي**(كما يظهر في الصورة رقم ١٣)**.

ويرى الشاعر والغناي "رضا عبد اللطيف" أن من القيم الجمالية والرمزية في السيرة الهلالية.الفروسية والشهامة والنخوة العربية والغيرة، وكل القيم البدوية وأصبحنا بواقعنا المدني المُعاش وروحنا البدوية المتعلقة بالصحراء وبيوت الشعر فينا من روح البداوة كل ما يشدنا إلى مثل هذه السير والقصائد والأشعار وبيئتها وخاصة بيئتها الصحراوية البدوية. وتوارثت هذه العادات لأن معظم القبائل المنتشرة في تونس، إمَّا كانت من بطون بني هلال أو بني سليم أو من قبائل رافقت الزحف الهلالي أو مابعده. وتختلف رموز السيرة الهلالية من مجتمع لآخر، إلَّا في ثوابت في أسماء الأبطال لكن رمزها وفرسانها تختلف في كثير من المناطق والبلدان، وفي تونس في حد ذاتها، تختلف التسميات والوقائع مثلًا: أبو زيد ودياب والجازية هذه رموز ثابتة

(١) **المخرج المسرحي والحكواتي: كمال بوزيدي**، من مهرجان قفصة الدولي للمسرح، بفندق جاكرتا، بولاية قفصة، بالجنوب الغربي، الجمهورية التونسية، تم عمل مقابلة بفندق جاكرتا بمدينة قفصة بالجنوب التونسي.

ويختلفوا مثلًا في رمزية حسن الهلالي وزوج الجازية والذي يعرف بالشريف بن هاشم فمثلًا يرمز أبو زيد للتوانسه هو رمز القوة مع الحكمة ودياب رمز القوة مع إلصاق النحس بشخصية أبو زيد الهلالي.

وقد كرَّست البطولة خلال أحداث سيرة بني هلال لدعم الأخلاق وتحقيق مبدأ العدل، حيث ربط المبدع الشعبي الهلالية بتحقيق العدل ونصرة المظلوم مقترنة بفكرة التآزر، فحين جاء "جبر القرشي" فارًا من تونس لائذا ببني هلال من جور الزناتة الذين قتلوا رهطه، حاول المُبدع الشعبي التمهيد لخروج الهلاليين بحيلة فنية مقنعة، حين خلق دافعا آخر اقتصاديًا يعين على تقبل السامع لفكرة عبور جحافل الهلالية هذه المسافات الطويلة متعددة الحواجز والدخول في معارك تقتضي العديد من التضحيات المادية والبشرية، تمثل في الإثارة التي حققها "جبر القرشي" حين لعب **(السيجة)**[1] مع بعض الهلاليين، وفوجئوا به يستخدم قطعًا من الذهب بدلًا من الأحجار، وحين سألوه أخبرهم أنها أحجار تونس التي تستخدم هناك كناية عن وفرتها وبالتالي الثراء الشديد الذي تتمتع به تونس**(صلاح الراوي، ٢٠٠٢، ص١٩٩)**.

ويرى الباحث**"الشريف بن محمد" أن من القيم الرمزية في السيرة الهلالية: فالرمزية** مهمة وتعني الحكمة والإيجاز بالرمز، فالجازية عندما كانت تلقي كلامها كانت عادة تلقيه رمزيًا، وزكرت من قبل لا للثرثرة ولا للتزايد اللفظي، ولا للطواف حول الموضوع بدون فائدة، حيث يوجد محاميل رمزية تستغلها تدخل في الموضوع مباشرة وتفهم. **مثال** عندما يكون في البيت ضيف ولا يراد إفهامه أمرًا ما فيقال الكلام رمزيًا بالإشارة واللمح، حتى لا أشعر ضيفي بنوع من الحرج أخلاقًا وتكرمًا منه.

"**فالجازية**" كانت ماهرة في هذا وكان عندها نصيب من البُعد الرمزي اللَّماح ولا تحتاج لتفصيل لكي تُبلغ رسالتها سواء للرجال ولجواريها وللوصيفات من حولها، ولكل من تتعامل معهم وهذا جانب مهم في حُسن توظيف اللغة توظيفًا حاذقًا. وهناك جانب رمزي آخر في محاورات الرجال معناها يكثر الجانب الرمزي عندما لا نريد نكشف كل شيء **وهناك** حديث يحسن ألَّا نقوله الآن فنتجاوزه، فنحاول أن ننجز تفاعلات لغوية من شأنها أن تفهمك أنت باللمح دون تصريح بالعبارة وهذا فيه جانب من الذكاء.

(١) **لعبة السيجة** هي لعبة مشتركة بين الجنوب المصري والجنوب التونسي، وتسمى في الجنوب التونسي بالخربقة، ويلعبها كبار السن في الريف المصري، سواء في الصعيد أو في بحري، وتمت الإشارة إليها من قبل.

وهذه الإشارة التي عمد إليها المُبدع الشعبي إنما تدل على بداهة هذا الاقتران بين البطولة والخلق الذي مبعثه التدين والقرب من الله عز وجل فالسيف شرف، والفروسية تعني في المقام الأول الحفاظ على نقاء شخصية الفارس ليظل جديرًا بحمل السيف والدفاع عن المظلومين، وهذا الأمر هو الذي سيكفل دوام مساعدة الله لهذا الفارس وتحقيق النصر له مهما كان صعبًا **(ياسر أبو شوالي، ٢٠١٠، ص٥١)**.

﴿الخلاصة﴾

نستخلص من هذا البحث: أنَّ هناك الكثير من التأثيرات الهلالية على المجتمعين المصري والتونسي: وخاصة في الجنوب منهما. **ومن أكثر التأثيرات الهلالية على الجنوب التونسي** هي القيم، فعندما تنجب المرأة بنتًا تقع المخايرة في منزلة هذه البنت فالأفضل أن تكون في مقام الجازية وأن تكون في المرتبة العليا من الجَمال، وطول الشعر، والحكمة والتدبير. هذا المثال يؤكد لك أن السيرة الهلالية موجودة في اللاوعي أي مخزنة حول كل ماهو جميل وجليل من الصفات والأخلاق والأفعال. والتأثير على **اللغة** فمازال في دوز تشبث كبير باللغة العربية وتبدو أنها الأقرب إلى اللغة العربية. **أيضًا اللغة والإيجاز** وهو ملمح مهم، فلا للثرثرة ولا للكلام الكثير، كلمات موجزة في محلها وعندها هدف، ولذلك كان أكثر كلماتهم حكم.

ومن التأثيرات الهلالية على المأكل ": توجد آثار ترتبط بالحياة الصحراوية. مثل: **خبزة المِلّة والرفيسة.أيضًا: القنص** كيف كان الهلاليون يستغلّون قدراتهم في صيد الأرنبة والغزال وهذا مازال موجودًا حتى الآن، أي أنهم عاشوا على القنص. **ومن التأثيرات على الملبس** اللباس الذي يوحي بسيرة بني هلال وهو الشكل **الحولي** وهو الأقرب إلى السيرة الهلالية. **فلماذا يناسب السيرة الهلالية هذا اللباس؟**. لأن هذا اللباس يتميز بخصلتين إذا شئته ساترًا في أوان الراحه والدعاء والإقامة فهو ساتر ومسدل على الجسد، وإذا أردته مشمرًا حاسرًا فبإمكانك أن تحسره بسهوله.

أيضًا يوجد جانب آخر وهو ليس من مجلوبات السيرة الهلالية، وهو **الوشم**، فالوشوم موجودة قبل مجيء بني هلال، والأمازيغ هم أصل الوشم "**الجازية**" كانت جميلة بخلقة الله ولكنها ازدادت جمالًا بما صنعت من وشوم وهي موجودة حتى الآن في "**دوز**" وحتى في الصعيد المصري. فما الذي جعل نساء دوز يستخدمن الوشم فالوشم الآن لم يعد موجودًا ولكن جيل الخمسين سنة وأكثر وهو جيل العجائز اليوم موجود فيه الوشم بكثرة، وفيه الأثر الجمالي الذي يكسب المرأة الجميلة جمالًا زائدًا، والمرأة غير الجميلة لعله يحسن من خلقتها. وهو من السمات المشتركة بين الصعيد المصري، والجنوب التونسي.

ومن التأثيرات على المجتمع الجنوبي المصري، القيم ومن هذه القيم ما هو مرغوب فيه مثل: الكرم، والدفاع عن العرض والشرف، والرفق بالنساء، واحترام الكبير والعطف على الصغير. ومنها ما هو غير مرغوب فيه مثل: الافتخار بالأحساب والأنساب، والنفاق. **ومن الإيجابيات:** اللغة العربية، فنجد أنَّ أكثر اللغات إلى العربية الفصحى لغة أهل الجنوب. التأثير

على الموروث الثقافي تجلى في أنه مهما مر منها إلَّا وتغيرت السمة الثقافية، ولابد أن يوجد أثر، إلى حد الآن.

ومن العادات والتقاليد التي توارثت عن الهلاليين، حب الصحراء، وتربية الإبل، وحب الخيمة الصحراوية، ركوب الخيل، والأزياء التقليدية، والألعاب مثل لعبة **السيجة** "، (وتتشابه مع لعبة **الخربقة** في تونس) وحب الشعر. فالهلالية ليست مجرد حلقات تُحكى لمجرد التسلية، وإنما هي تعويض نفسي يجسد من خلاله الرواة القيم الاجتماعية الغائبة (البطولة – إغاثة الملهوف – العصبية القبلية ..). فتمسك الجمهور بالسيرة؛ لأنها عبَّرت عن انتماءاتهم القبلية، فتحزبوا حولها، هذا يحب أبا زيد ويكره دياب، وذلك يحب دياب. إذ لا يزال المُجتمع الجنوبي يعج بمثل هذه الصراعات القبلية والانتماءات الحزبية، التي فسرت سبب بقاء الهلالية في الصعيد كنص كامل إلى الآن. **فالسيرة الهلالية خلَّفت أشياء سلبية** مثل الغلظة وصعوبة التفاهم، والسمات النفسية والسلوكية فعندما تنشأ خصومة في المدينة ويراد الصلح يسير الناس إليه بأيسر السبل وهذه من مخلَّفات بنو هلال، فالإساءة يصعب تقبُلها.

أولًا: المصادر الشفاهية:

المقابلات الميدانية بتونس:

- مقابلة مع الباحث: الشريف بن محمد، بمدينة دوز، بالجنوب التونسي بشهر أبريل ٢٠١٩.
- مقابلة مع الباحث: بالقاسم بالجابر، بساحة مدينة دوز، بالجنوب التونسي بشهر أبريل ٢٠١٩.
- مقابلة مع الأستاذ: الهادي بالحاج إبراهيم، بساحة مدينة دوز، بالجنوب التونسي بشهر أبريل ٢٠١٩.
- مقابلة مع الشاعر والغناي: رضا عبد اللطيف، بمدينة دوز، بالجنوب التونسي بشهر أبريل ٢٠١٩.
- مقابلة مع الأستاذ: عز الدين بلطيب، بمدينة دوز، بالجنوب التونسي بشهر أبريل ٢٠١٩.
- مقابلة مع الشاعر، والباحث: لمجد بنمنصور، بساحة مدينة دوز، بالجنوب التونسي بشهر أبريل ٢٠١٩.
- مقابلة مع المخرج المسرحي والممثل والحكواتي: كمال بوزيدي بمدينة قفصة بالجنوب التونسي بشهر أبريل ٢٠١٩.

جميع المقابلات التي تمت في تونس أثناء الدراسة الميدانية كانت في شهر أبريل من عام ٢٠١٩.

ثانيًا: المراجع العربية:

١)- المراجع العربية:

أبو شوالي ، ياسر (٢٠١٠): الرياضة في السيرة الهلالية (قراءة في النص المدون للرياضة البهية)،الطبعة الأولى، مكتبة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

أبو النصر ، محمد زكي (٢٠٠٨): لياقة التصميم المنهجي للبحث الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

الراوي ، صلاح (٢٠٠٢): الثقافة الشعبية وأوهام الصفوة، مركز الحضارة العربية، القاهرة.

الحسن ، إحسان محمد (٢٠٠٥): مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر والتوزيع، القاهرة.

الشماس ، عيسى (٢٠٠٤): مدخل إلى علم الإنسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

الفرنواني ، منى (٢٠٠٤): "الفصل الخامس" الصورة الفوتوغرافية في الدراسات الأنثروبولوجية: كتاب الأنثروبولوجيا الاجتماعية "قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

الجوهري ، محمد. محمد علي محمد . علياء شكري (١٩٩٢): علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

برهانة ، علي محمد (١٩٩٤): سيرة بني هلال: دراسة أدبية لغوية مقارنة، تقديم: نبيلة إبراهيم، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها، ليبيا.

الزيدي ، مفيد (٢٠٠٣): قضايا العولمة والمعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن.

بكر ، عبدالجواد (٢٠٠٣): منهج البحث المقارن: بحوث ودراسات، ط الأولى، الناشر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

بونت ، بيار. وميشال ايزار (٢٠٠٦): معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ط الأولى، تر: مصباح العمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.

حنا ، نبيل صبحي (٢٠٠٠): الاتجاهات التقليدية والحديثة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

دياب ، محمد حافظ (١٩٩٦): إبداعية الأداء في السيرة الشعبية،ج١، سلسلة مكتبة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

دياب ، محمد حافظ (١٩٩٦): إبداعية الأداء في السيرة الشعبية،ج٢، سلسلة مكتبة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

دياب ، محمد حافظ (٢٠١٦): السيرة الشعبية وإبداعية الأداء، الناشر: وزارة الثقافة والرياضة، إدارة المكتبات العامة والتراث، كتاب المأثورات الشعبية، ط الأولى، قطر.

عبدالحافظ ، إبراهيم (٢٠٠٢): قصص السيرة الهلالية بين الرواية التقليدية والمستحدثة في دلتا مصر، المركز الحضاري لعلوم الإنسان، والتراث الشعبي،كلية الآداب: جامعة المنصورة ، عن دار المنظومة، ٢٠١٨.

كاظم ، علاء جواد (٢٠١٣): الصورة حكاية أنثروبولوجية، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر.

كلاكهون ، كلايد(١٩٤٩): الإنسان في المرآة، تر: شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد – نيويورك.

محمد ، محمد علي. وعلياء شكري (١٩٩٢): قراءات في علم الاجتماع " النظرية والمنهج "، دار المتحدة، الكتاب السادس، سلسلة علم الاجتماع.

٢)- الرسائل العلمية:

العياشي، صباح (١٩٩٤): اختيار مقاييس تكافؤ القرينين والتغير الاجتماعي والثقافي، رسالة ماجستير غير منشورة " الجزائر.

البديري ، علي مجيد داوود (٢٠٠٩): الأدب العربي المقارن في ضوء "جمالية التلقي" (الدراسات النظرية المقارنة نموذجًا)، رسالة دكتوراه " منشورة " ، كلية الآداب: جامعة البصرة، العراق.

البنا ، صالح (٢٠١٣): الاتصال الثقافي الحديث ودوره في تغير الأسرة بنائيًا ووظيفيًا، رسالة ماجستير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

البـديري ، علـي مجيـد داوود (٢٠٠٩): الأدب العربـي المقـارن فـي ضـوء "جماليـة التلقـي" (الدراسات النظريـة المقارنـة نموذجًـا)، رسـالة دكتوراه منشورة، كليـة الآداب: جامعة البصرة، العراق.

بـن محمـد ، الشـريف (٢٠١٨): المطـر فـي الشـعر الجـاهلي، والشـعر الشـفوي التونسـي: مـن خــلال نمــاذج، رســالة ماجســتير غيــر منشــورة، كليــة الآداب والفنــون والإنسانيات بمنوبة: جامعة منّوبة، تونس.

حنا ، نبيل صبحي (١٩٧٣): ديناميات التغير الثقافي في مجتمع هامشي، رسالة ماجستير " غير منشورة " ، كلية الآداب: جامعة القاهرة.

عزي ، بوخالفة (٢٠٠٣): تغريبة بني هلال: بين التاريخ والرِّوايات الشفهية الهلالية الجزائرية، رسالة دكتوراه "منشورة"، كلية الآداب واللغات: جامعة الجزائر، الجزائر.

٣)- الدوريَّات، والأبحاث العلمية:

إبراهيم ، إبراهيم اسحق (١٩٩٠): السيرة الهلالية بين التاريخ والأسطوري: محاولة في التخيل المقارن، العدد ٢٠، المأثورات الشعبية، السنة الخامسة، الدوحة.

عبد المطلب ، أحمد محمود (١٩٩١): المضامين التربوية في سيرة بني هلال، العدد ٦، ج ١، الناشر كلية التربية: جامعة سوهاج، دار المنظومة، ٢٠١٨.

عبـد الحـافظ ، إبـراهيم (١٩٨٥): الدراسـات الشـعبية بـين النظريـة والتطبيـق، دار المـريخ، الرياض.

جواد ، محمد خلف (١٩٩٣): العلاقة الإشكالية بين الثقافي والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، ع١٧٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت